

# القراءة أفكار حول العصر

( العلامة الدكتور الشيخ فيصل بن عبدالله العوامي )



**أفكار حول القرآن والعصر**



# أفكار حول القرآن والعصر

العلامة الدكتور الشيخ فيصل العوامي



## الناشر

قطف للتعارف الفكري

الموقع الإلكتروني [www.qatf.org](http://www.qatf.org)

البريد الإلكتروني [info@qatf.org](mailto:info@qatf.org)

## الطباعة

دار المؤمل للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

شارع بئر حرة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة

يكتسب النص القرآني مكانته المعرفية العليا من كونه موحى من جهة لا متناهية غنية عن كل شيء، إلى عقلٍ متناهٍ محتاج في كل شيء، وبالتالي لا مقياسة بين الجهتين، إلا أن الأولى نور يضيء للثانية الطريق نحو الحقيقة.

من هذا المنطلق تعددت التصورات حول مستوى الحقيقة المنكشفة بواسطة ذلك النور، والمنهج الكاشف عنها، وقد كانت لي سلسلة مقالات سريعة نُشرت في صحيفة الدار الكويتية في شهر رمضان من عام ١٤٣١هـ حول هذا المطلب، رأيت أن أجمعها في كتيبٍ لتكون في متناول النقاد.

فيصل العوامي

١٦ / ٥ / ١٤٣٢ هـ





المحتوى



## لماذا ثقافة القرآن؟

من جملة ما يدعونا للدعوة لثقافة القرآن الحاجة الملحة لتصحيح المفاهيم، بالذات ما يشكّل منها خلفيّة ومنطلقاً للعديد من المواقف المتصلة بحياتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية، أي أننا نسعى لتصحيح حياتنا من خلال القرآن الكريم.

فمواقفنا المتعددة الجوانب في الحياة تأتي استجابة طبيعية ولا شعورية لنخبة معتمدة من المفاهيم والتصورات المركزية، ولذلك يفترض فيها الدقة، بحيث تكون مصنوعة بإتقان ومتوافقة مع ما أملاه الدين علينا وأراد منا الالتزام به والظهور بهيئة تتناسب معه في الواقع الخارجي، إلا أن المفاهيم المركزية عند الإنسان والمجتمع قد لا تكون بهذا المستوى من الدقة، وذلك بفعل الموروثات الخاطئة التي تُتبنّى

من غير تمحيص ولا مراجعة، أو بفعل ردود الأفعال السريعة التي تنشّطها الدعاية والإعلام، وقد يكون بفعل القراءة السريعة أو الانفعالية للنصوص الدينية، خاصة ما يأتي منها استجابة لمتطلبات مرحلية حرجة، كقراءة نصوص الجهاد في زمن التحديّ والمواجهة، وقراءة نصوص السلام في زمن التراجع والسكون.

فبفعل هذه المسائل وغيرها تتشكّل عند الإنسان مفاهيم غير دقيقة، تتحكّم في الكثير من مواقفه الثقافية والاجتماعية والسياسية، ولعل الكثير من الاضطراب في المواقف مرده إلى الاضطراب في تأسيس المفاهيم المركزية، وذلك ما يدعونا لتصحيح المفاهيم بالشكل الذي يتناسب مع الكلام الإلهي العظيم.

## قيمة النص القرآني

الاعتقاد بالقيمة الذاتية للنص القرآني هو الطريق لفهم معانيه، فهي (المعاني) لا تتأتى لأي باحث يجرد النص من تلك القيمة.

وهي تتلخص في عنصرين، أولهما الاعتقاد التام بالمحتوى المعرفي والقيمة العلمية للمعاني القرآنية، وثانيهما كلما تعمق اليقين عند الباحث بذلك كلما كان أقدر على فهم تلك المعاني، والعكس صحيح، إذ كلما تنازلت نسبة اليقين والإيمان بجدوائية تلك المعاني وعظمتها كان المفسر أبعد عن روح القرآن، وبذلك فإن فهم القرآن الكريم مشروط بالإيمان المسبق به وبعظمته.

ولا شك أن هذا الأفق يتعارض مع الأفق الاستشراقي الذي تبناه بعض مفكري الحداثة

المعاصرين، النَّاص على ضرورة نزع القداسة عن النص القرآني قبل الخوض في تفسير آياته، باعتبار أن القداسة تلك تكبّل عقل المفسّر وتشعره بالرهبة فيتخوّف من إثارة التساؤلات الحرجة، بينما الجرأة من ضرورات المفسّر الحدائثي الجاد.

لكننا نرى أن الجرأة لا تتعارض مع القداسة، بل ربما يكون يقين المفسر بالنص وما يحتويه محفزاً له على الحفر الأعمق لاستكشاف الدلالات والأبعاد الأهم.

## بصائر وهدي ورحمة

البصائر هي المعارف والمناهج والأفكار والرؤى اليقينية، التي هي في ذاتها يقين وتوصل الإنسان إلى اليقين، فهي مقابل البصر الذي يشاهد الأشياء حسياً على نحو يقيني، والبصيرة تشاهد الأفكار والأمور المعنوية على نحو يقيني أيضاً.

والهدي تعني الدلالة الواضحة والتامة على الطريق المستقيم والمنهج الحق، ولا شك أن هذا تماماً ما توفره البصيرة، فالبصيرة عبارة عن الرؤى والمناهج اليقينية التي توضح الطريق للإنسان، فإذا أصبح واضحاً كانت المسيرة فيه سليمة ومتسقة، وهذا ما تعنيه الهداية.

والرحمة هي الخير الدنيوي والأخروي - إذ لا تقييد في الآيات بالدنيا، وإطلاقها يقتضي الشمول

للدنيا والآخرة-، وقد عبّر عنها البعض بالنعمة، وبتعبير أدق الرحمة هي السعادة الأبدية والخير الوفير والنعمة الدائمة. وهي المؤدى الطبيعي للبصائر والهدى، فإذا استكشف الإنسان البصائر، وسار في الحياة بسببها على هداية ووضوح، حصل على السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا بعض ما يشير إليه الترتب في قوله سبحانه: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) القصص: ٤٣.

## من خواص النص القرآني

للقرآن الكريم طرق خاصة في إيصال مراداته إلى القراء، واستنباطها يتطلب معرفة دقيقة بتلك الطرق.. ويمكن لنا هنا الإشارة إلى بعض منها على سبيل التمثيل فقط لا الاستغراق:

اختيار المفردات والصيغ المعبرة عن دقائق المعاني.. فالسور القرآنية تحتمل معاني عظيمة ودقيقة جداً، وهذه المعاني تتراكم بين ثنايا الآيات وتنضغط فيها، ويمكن استخراجها وإبرازها من خلال التأمل في تراكيب الصيغ والمفردات الخاصة المستخدمة بل وحتى الحروف.

تبيين النظريات المضغوطة أو المجملية بالأحداث الواقعية. فالقرآن الكريم يمتلئ بالكثير من النظريات التربوية الفردية والاجتماعية، لكنها نظريات

مضغوطة بشكل كبير، إلا أن في متن القرآن الكثير من الأحداث التي مرّت بها الأمم وعاشها أشخاص تاريخيون، وهذه في الحقيقة ترجمة واقعية لتلك النظريات، ولهذا فإن المتتبع في آيات القرآن الكريم والمتأمل في معانيها، عندما يقف على أي نظرية قرآنية، ينبغي له أن يبحث بين الآيات عن التجربة التاريخية التي تقف معها في سياق واحد، حتى يستطيع أن يفهم حقيقة النظرية ومستواها وأهدافها وكيفية تجسدها على أرض الواقع، باعتبار أن النظريات القرآنية ليست نظريات مثالية لا واقع لها، وإنما هي واقعية تتفاعل بشكل كلي مع الواقع الخارجي.

## واقعية النص القرآني

لا يكفي التسليم بالقيمة الذاتية والبيانية للنص القرآني، وإنما يجب التسليم بالقيمة الواقعية له، إذ لولا القيمة الواقعية ل بقي القرآن نصّاً تاريخياً معطلاً، لأنها لا تفترض قيمةً ذاتية للمعنى القرآني، وإمكانية تحصيل تلك القيمة، وتكتفي، وإنما تجعل تلك المعاني قابلةً للتفاعل مع الواقع الخارجي بما فيه من هموم ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وغير ذلك، فهي تعني الإيمان باشمال النص القرآني على إجابات لمشاكلنا وهمومنا المعاصرة، بالمستوى الذي يجعل منه نصّاً تشريعياً فعلياً للحظتنا المعاشة والأزمة المتجددة.

لهذا كلما طرأت على الساحة بعض التآزمات أو التساؤلات كان للقرآن كلمة، وهذا ما يحفز المفسر والباحث القرآني للتنقيب عن الرؤى والبصائر القرآنية

كلما انطلقت تساؤلات جديدة، فيوماً كانت الوجودية  
وآخر القومية واليوم الديمقراطية والتعددية مثلاً.

وهذا النهج يعد نقداً صريحاً للمنهج المعطل  
للنص القرآني، وأطروحة تعتبر آيات القرآن الحكيم  
حيّة طريّة تتفاعل مع الأزمنة والأمكنة المتجددة، في  
مقابل الأطروحة التي تسلب الروح والحياة منها حيث  
تنادي بتاريخية المعاني القرآنية.

## بيان النص القرآني

ليس من الغريب أن يكون في الوسط الفكري الإسلامي من المفكرين من يرى تعالي القيمة الذاتية للقرآن، ثم يتوقف عند القيمة العملية أي الخاصة البيانية لهذا النص، لا بمعنى عدم جدوائية معانيه وبصائره، وإنما عدم تيسر استظهار تلك المعاني، ولعل القائلين بعدم حجية الظواهر القرآنية يصنّفون ضمن هذا التيار الفكري.

وربما يصنّف ضمن هذا التيار بعض مثقفي الحداثة القائلون بضياع المعنى الإلهي إلى الأبد، بسبب كثرة الاختلافات في فهم النص القرآني، ما يعني استحالة الوقوع على المراد الجدّي للخالق سبحانه، إذ إن المعنى الإلهي يكون آنئذ بمثابة الشبهة غير المحصورة في أطراف العلم الاجمالي، والمرجع

فيها البراءة من التكليف الإلهي.

في مقابل هذين الخطين المصنَّفين ضمن تيار واحد فكرياً - لا من ناحية الانتماء العقدي أو الاجتماعي - القائلين بعدم إمكانية إدراك المعاني القرآنية من قِبَل المفسّر بصورة مستقلة، تسالمت العقلية الإسلامية على القول بإمكانية الاستقلال في فهم النص لوجود خاصية بيانية فيه، ولو على مستوى الظاهر، فهو نص لا يستعصي على الفهم بالرغم من عظمته وتعالیه، وهو ظاهر قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(١)</sup>. نعم يبقى عمقه يستعصي على الفهم إلا مع تدخل بيان آخر يتمثل في المعصوم.

---

(١) القمر: ١٧.

## يسر البيان في نص متعال

بالرغم من تعالي النص القرآني لعظمته (العظيم)، وحاكميته المطلقة لحكمته (الحكيم)، إلا أنه في الوقت نفسه مبين ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾<sup>(١)</sup> وهي مفارقة أدبية وفكرية مهمة، والظاهر أن بعض التعابير القرآنية تعود إلى هذه النتيجة أيضاً منها:

لا ريب فيه.. كما في قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾<sup>(٢)</sup>، إذ أن المبين لا يعني مجرد الوضوح في اللفظ العبارة، وإنما يشمل ما هو أبلغ من ذلك، فهو بيّن وبه وضوح تام لدرجة لا يشوبه حتى الأقل من درجات الريب والشك، فمعانيه يقينية وغير متزلزلة.

(١) يوسف: ١.

(٢) البقرة: ٢.

التي سير.. لما جاء في قوله سبحانه في أكثر من مقطع قرآني من سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ...﴾<sup>(١)</sup>، فلأن المعاني والأفكار وكذلك الألفاظ والعبارات مبيّنة بشكل تام، وليس فيها أي لبس أو تشويش، كانت الاستفادة منها سهلة يسيرة.

ولاشك أن ذلك يكشف جانباً مهماً من الجوانب المتميزة في القرآن، فبالرغم من أنه عظيم يتعالى على كل كلام بشري، أي فوق المستوى البشري في الخطاب والمحادثة، وحكيم متضمن لأرقى الأفكار والنظريات والمناهج والتعاليم، إلا أنه في الوقت نفسه مبين وواضح، بحيث يسهل التعامل معه وفهمه من قبل المكلفين.

---

(١) القمر: ١٧.

## حاكمية النص القرآني

القرآن حكيم كما جاء في قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، وقد رأى البعض أن هذه الصفة تعود إلى (محكمات) من الأحكام، فيكون (الكتاب الحكيم) بمعنى المتقن والمحكم، لكنه استظهار قاصر، فهذه الصفة يُنظر إليها من زوايا ثلاث، السبب والنتيجة والمؤدى.

فأما من زاوية السبب فالقرآن محكم، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾<sup>(٢)</sup>، فهو في تركيبه الداخلية محكم ومتقن في اللفظ والمعنى وليس خصوص اللفظ فقط.

وأما من زاوية النتيجة فإن الحكيم مشتق من

(١) يونس: ١.

(٢) هود: ١.

الحكمة، وبالتالي فالقرآن الحكيم يحتوي ليس على مجرد العلم النظري أو المعلومات العامة، وإنما على الحكمة - جمع حكمة -.

فالقرآن بناء على ذلك يعبر عن الحق المطلق، إذ ليس فيه إلا الحكمة التامة، ولذا يصبح حاكماً، وهو مرادنا من المؤدى في الزاوية الثالثة، وهو ما دعا الكثير من المفسرين - بل عبر عنهم الرازي بالأكثرين - إلى تفسير الحكيم بالحاكم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ...﴾<sup>(١)</sup>، فهو محكم وبالتالي حامل للحكمة ومعبر عن صميم الحق، لذلك لا بد أن يكون حاكماً على سائر الأفكار والنظريات والمناهج والتوجيهات وما إلى ذلك من صنوف الكلام.

---

(١) البقرة: ٢١٣.

## المعاني القرآنية والفكر البشري

قيل إن الثقل الوارد في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾<sup>(١)</sup> يعني أنه كلام إلهي مأخوذ من ساحة العظمة والكبرياء ولا يمكن أن تتلقاه إلا نفس طاهرة، وقيل إنه ثقل على الكافرين والمنافقين لما فيه من الإعجاز، كما قيل إنه باق على وجه الدهر، لأن الثقل من شأنه أن يبقى ويثبت في مكانه.

وقد يكون الثقل فعلاً يحتمل كل هذه المعاني، لكن من أهم جوانب ثقله أنه ثقل لا يمكن اختراقه بكلام البشر الخفيف، وبالتالي مهما تطور فكر الإنسان يبقى خفيفاً أمام القرآن، وهذا ما تشير إليه الآية في سورة فصلت من قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

(١) المزمّل: ٥.

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١﴾.

وبناء على ذلك أرى بأن قوله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، لا يعني فقط تكوين آيات وألفاظ موازية للقرآن وبمستواه، وإنما يشمل الإتيان بأفكار ونظريات بمستواه عميقة وقادرة على الصمود بالرغم من امتداد الزمن، وبالتالي فالفكر البشري متغير بينما المعاني القرآنية راسخة وثابتة.

---

(١) فصلت: ٤١.

(٢) الإسراء: ٨٨.



في المنهج



## المعرفة بمضامين النص

المعرفة العلمية لمعاني النص القرآني - مع أنه مبین - تتطلب جهداً من نوع خاص، لسبيين:

١ - لهذا النص أسلوب خاص مغاير للأساليب الخطابية المعتادة، وإن كان مجراه متطابقاً مع المجرى العام للغة المتداولة والعرف السائد، فأسلوب الخطاب وطرق العرض والدقة في التعبير والامتانة في البلاغة والتصويرات المتغيرة وما أشبهه، كلها أعطت للقرآن أسلوباً أرقى من الأساليب المعتادة، ولهذا تحدى الباري جل وعلا أهل اللغة العارفين بأصولها أن يأتوا بسورة من مثله.

الضغط الشديد والإجمال في معانيه، فالمعاني والأفكار القرآنية واسعة وكثيرة، إلا أنها مضغوطة بشدة ومجملة، ولذلك تحتاج إلى عناية في إمعان النظر

وطرق خاصة من التأمل، لفك ذلك الضغط وإبانة الإجمال، فمقطع صغير من أية يمكن أن يحتوي على الكثير من المعاني والإرشادات والقيم والأحكام.. حتى أن البعض من المتمردين على الوحي أعربوا عن عجزهم أمامه لفرط دقته ومتانة تعبيره عن المعاني.

فالقرآن من جهة يخاطب المكلفين بأسلوب متميز ودقيق، ومن جهة أخرى يختص أسلوبه بالضغط الشديد للمعاني والأفكار والإجمال في الأحكام، لذلك فإن الرغبة في فهم تلك المعاني تفتقر إلى معرفة دقيقة بذلك الأسلوب، وقدرة على فك ضغطه وإبانة إجماله، وذلك لا يتحصل إلا بواسطة السير على ضوء منهج علمي واضح.

## المنهج الروائي فهم القرآن

المعاني القرآنية مضغوطة وإنما تفك بالتوسل بالكلام الوارد عن المعصومين عليهم السلام، فالروايات بصفتها نصوصاً رديفة للقرآن الكريم تسير جنباً إلى جنب مع آياته، ومن دونها يتعسر الوصول للمعاني القرآنية الحقيقية. وقد أكد الأئمة عليهم السلام ذلك كثيراً في حواراتهم مع أرباب المذاهب والتيارات الفكرية، كقول الصادق عليه السلام لقتادة: «إنما يعرف القرآن من خوطب به».

فمن دون العودة إلى كلام المعصوم تصبح الآراء المنتزعة من الآيات مجرد ضرب من الكلام وإن مال إليها الذوق واستحسنها، إذ بين سطور الآيات خفايا ودقائق لا يطلع عليها إلا أهلها، وهم الذين في استطاعتهم توجيه الآية إلى مصبها

الحقيقي، كما لوحظ في تفسير الإمام الجواد لقوله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾<sup>(١)</sup> في مجلس المعتصم العباسي، حين استفاد من قرينة كون المساجد لله وأن ما لله لا يقطع، أن القطع يكون من مفصل أصول الأصابع وتترك الكف، خلافاً لمن قال بأن القطع من الكف أو المرفق.

فهذا النمط من التفسير وأمثاله يبين مستوى الضغط والإجمال في المعاني القرآنية، لدرجة أن فكّه يتطلّب توسّلاً بنوع خاص من الشواهد القرآنية والروائية، لا أي شاهد يمكن أن يتصوّره القارئ للقرآن، ولهذا فإن الروايات بصفتها نصاً رديفاً تدخل كأساس لفهم معاني القرآن الحقيقية، وليست مجرد كلمات يُستأنس بها كما هو مسلك بعض المفكرين المعاصرين.

---

(١) المائة: ٣٨.

## القراءة اليقينية للنص القرآني

ذكرت في آيتين مباركتين عناوين ثلاثة، قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد رأى بعض المفسرين أن بينها طولية وترتباً في المستوى، فالبصائر تختص بالمتعمقين إيماناً، والهدى بمن هم دون هذا المستوى، وأما الرحمة فتتعلق بالمبتدئين، في حين نفى ذلك بعض آخر واعتبرها في عرض واحد.

والظاهر أن الثلاثة من ناحية المستوى في عرض واحد، وبالتالي فالآيات القرآنية للمؤمن الموقن بصائر

(١) الأعراف: ٢٠٣.

(٢) الجاثية: ٢٠.

وهدى ورحمة في آن، نعم بينها طولية من ناحية التأثير، ففي المرتبة الأولى تأتي البصائر، ثم الهدى وهو الأثر الطبيعي لاتباع البصائر، وأخيراً الرحمة التي تكون أثراً للهداية، فهي آثار ثلاثة يتحصل عليها كل مؤمن موقن على نحو الترتب.

وإنما قيّدنا المؤمن بالموقن لتقيده في الآية الثانية، فالمؤمن المتيقن في إيمانه هو الذي يستفيد من القرآن بصائر وهدى ورحمة، أما من يفتح على النص القرآني وهو محمّل بالشكوك والأوهام فلا يمكن أن يحرز شيئاً من ذلك.



# مفاهيم



## مفهوم الإيمان بالنص الموحى

الإيمان في النص القرآني تارة يعني مجرد رسوخ اعتقاد المكلف نفسه به، كما في قوله سبحانه: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾<sup>(١)</sup>، وتارة ينحو نحو الإعلان عن ذلك الاعتقاد أمام الجمهور، وهو يدل على قوة الاعتقاد، لأنه لا يبقى حيس الصدور وإنما قوة اليقين تدفع للتبشير به.

كما أن هذا الإيمان ينبغي أن يتأصل ليصل إلى الأعماق، وذلك بالتعبير عن التسليم المطلق بأمرين:

التسليم بأن القرآن موحى، طبقاً لما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) آل عمران: ٧.

التسليم بما جاء فيه من معان وقيم وقد صرّحت بذلك آيات من سورة الإسراء، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾<sup>(١)</sup> فالسجود تعبير صادق عن أعلى درجات الإيمان والتسليم.

فالإيمان يعني التسليم المطلق والتام بالقرآن بصفته وحيًا من الله سبحانه وتعالى، وبما جاء فيه من قيم وأحكام وإرشادات.

إن الإيمان بالقرآن كوظيفة ورد في آيات قرآنية عديدة، منها ما جاء في سورة البقرة حيث قال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup> وهي تبين أن الإيمان بالقرآن ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>(٣)</sup> من الأمور الراسخة عند الرسول والمؤمنين بل من المسلمات الراكزة، ولذا عبرت عنها الآيات بصيغة الماضي ﴿أَمَّنَ﴾، وكأنها قضية تمت وثبتت وليست

(١) الإسراء: ١٠٧.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

في حاجة لكلام أو مراجعة.

ومنها ما ورد في سورة الشورى من قوله تعالى: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾<sup>(١)</sup>، والخطاب فيها موجه للرسول، وهو على نحو الإلزام، فالله سبحانه وتعالى يأمره بأن يعلن للملأ إيمانه ويجهر به، لا أن يؤمن به في الخفاء فقط، وذلك يبين مدى أهمية هذا الأمر، فالإيمان بالكتاب قضية مركزية وتعد من الأصول التي لا يُتنازل بحال، ولذا وجب الإعلان عنها صراحة أمام الرأي العام.

وهذا الإيمان لا ينبغي أن يكون سطحياً، وإنما يجب أن يتأصل ليصل إلى الأعماق، بأن يعبر عن التسليم المطلق بأمرين:

١- التسليم بأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى.. وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- التسليم بما جاء فيه من قيم وأحكام

(١) الشورى: ١٥.

(٢) آل عمران: ٧.

وتعاليم.. وقد صرّحت بذلك آيات من سورة الإسراء، حيث قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦) قُلْ أَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا<sup>(١)</sup>، وهذه الآية تعبر عن التسليم المطلق بما جاء في القرآن، فالسجود والبكاء تعبير صادق عن أعلى حالات الإيمان والتضامن والتسليم، ولهذا أصبح له أثر على مستوى النفس، بأن عمق مستوى الخشوع، فالخشوع دليل على الصدق والتأثر الفعلي بالقيم والتعاليم الواردة في متن القرآن الكريم. فالإيمان يعني التسليم المطلق والتام بالقرآن بصفته وحيا من الله سبحانه وتعالى، وبما جاء فيه من قيم وأحكام وإرشادات.

---

(١) الإسراء: ١٠٦ - ١٠٧.

## الاتباع للكتاب المنزل

مفهوم الاتباع للنص ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ في الاستخدام القرآني لا يعني مجرد الاستماع والفهم، وإنما يعني التقليد المطلق والتأثر الفعلي الذي يتحوّل إلى برنامج عملي في حياة الإنسان.

فعندما يقول تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾<sup>(١)</sup>، فإن استحقاق جهنم إنما هو بسبب التقليد العملي للشيطان.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ﴾، يظهر منه أن الإتيان يقابل العصيان، والعصيان الترك الفعلي للتكاليف.

(١) الإسرائيليات: ٦٣.

وهكذا يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فالرسول ﷺ يُقرن محبة الله سبحانه وتعالى بطاعته، ولذلك فالإِتباع يعني التصديق برسالة الرسول ﷺ والاقْتداء به وطاعته.

كما يقول جلت قدرته: ﴿إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾<sup>(٢)</sup>، فتطبيق الرسالة من قبل الرسول ﷺ بحذافيرها، والمداومة عليها والدعوة إليها، كل ذلك اتباع.

فالاتباع إذاً يعني التقليد الصادق والتأثر الحقيقي بكل ما جاء في القرآن الكريم من قيم وتعاليم وإرشادات وأحكام.

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) الأحقاف: ٩.

## القرآن والعقل

لقد تجاذبت الساحة الإسلامية من مطلع العصور الإسلامية الأولى وحتى يومنا هذا مدارس متعددة لها أطروحات متغايرة حول العلاقة بين هذين القطبين، فمدرسة فقدت الثقة بالعقل وزوته عن مجال التشريع، ومثلها بصراحة المدرسة الإخبارية في المجال الشيعي والسلفية في المجال السني.

وأخرى على النقيض منها زوت النص واحتكمت إلى العقل فقط، مثلتها مدرسة الاعتزال قديماً وحديثاً، ولها أرباب كُثُر أسسوا لمطالبها بوجوه متعددة، من قبيل ما أفصح عنه الدكتور مراد وهبة في كتابه مدخل إلى التنوير حين دعى إلى «تحرير العقل من سلطان الدين، وإعمال العقل دون معونة من الآخرين، وجعل السلطان المطلق للعقل، بحيث لا

يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل وحده».

وفي زحمة هذا الجدل الممتد على مساحة واسعة من الزمن، أسس الفكر الإسلامي منهجاً مغايراً، يقول بضرورة إعطاء الثقة التامة للقطين (النص، والعقل)، وذلك من خلال الاستفادة من نور العقل الصافي والتحرر من تأثير الأوهام الفاسدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من خلال الاستفادة من النص في المعارف العقلية الأولية، وبهذا يتكامل النص والعقل في مجال العطاء الفكري.

## مفهوم التعقل للنص القرآني

القرآن يتضمن بين ثناياه العديد من العبر والدروس والإرشادات، وينبغي أن يستذكرها الإنسان ولا يتغافل عنها بحيث تكون حاضرة في حياته العملية، لكن هذا الاستذكار لا يكون صحيحاً إلا إذا كان عبر التعقل، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

مفهوم التعقل معناه واسع جداً كما هو ملاحظ من خلال الاستقراء للآيات القرآنية التي تحدثت عنه، فهو لا يعني مجرد الفهم العام للرؤية القرآنية وخصوصياتها - كما يعنيه التفقه-، وإنما يشمل التحليل الدقيق لعناصرها وأبعادها.

(١) الأنبياء: ١٠.

كما أنه لا يستعمل فقط للدلالة على التأمل في الرؤية ومعرفة دلالاتها وتداعياتها الخارجية - الذي يعنيه التفكير-، وإنما يعني التأمل في التركيب الداخلي للرؤية بالإضافة إلى التأمل في الدلالات والتداعيات الخارجية.

ولذلك فإن وظيفتي التفقه والتفكير في القرآن تعود إلى هذا الأصل الأكبر، لأن معناه أشمل وأوسع.

وأما العلم فهو مقدمة للتعقل، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> فتعقل روى القرآن وبصائره يحتاج إلى مستوى علمي كافٍ، وإلا فإن عملية التعقل ستكون قاصرة.

---

(١) العنكبوت: ٤٣.

## النص والتأويل

عندما يتبنى الفكر الإسلامي الحديث مفهوم التأويل ويقول بإمكانيته العملية - مع الإقرار بوجود مقولات كثيرة تتحفظ عليه - فإن ذلك يكشف لنا سعة المحيط الذي يتحرك فيه المفكر وخصوصاً المفسر عند التعامل مع الآية، لأنه يتجاوز بذلك حدود التفسير الظاهري، باعتبار أن التفسير لا يعدو كونه كشفاً لظاهر الآية، بينما التأويل يعني ما هو أعمق من ذلك، فهو يهتم باستخراج بواطنها ومعانيها العميقة، كما يعمد إلى البحث في تطبيقاتها الواقعة.

إن هذا المنهج يجعل من النص القرآني حياً يؤثر بسلاسة في الحياة اليومية للإنسان، لما فيه أولاً من معرفة بالعمق الذي تنطوي عليه الآية المباركة، وثانياً لتطبيق ذلك العمق على الواقع الخارجي المتجدد،

ولا يخفى أن الكثير من المفسرين تحفظوا على العمل بهذا المنهج واعتبروه من خصائص المعصوم، باعتبار أنه كشف عن باطن، والباطن لا يتسنّى لأيّ كان.

مع ذلك فهذا المنهج يعد خطوة متقدمة في مجال عمل المفسّر، بل الغاية التي ينبغي أن يصل إليها كل من يروم التعامل بشكل صحيح مع النص القرآني، مع ما ينبغي أن نقر به من صعوبة عملية في ممارسة هذا الدور، فهو منهج عميق ومهم لكنه يتطلب جهداً كبيراً وحذراً شديداً.

## البعد السياسي في النص القرآني

باعتبار أن القرآن الكريم بشر بدولة مؤمنة، كما يظهر من حديثه المستمر عن خصائص هذه الأمة المرحومة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، ولم يكن مجرد رسالة روحية لا علاقة له بسياسة الدولة والعمران، لذلك فقد حمل بين طياته رؤية عامة للدولة والمجتمع.

والنص تارة يعرضها على هيئة قيم وإلزامات شرعية، يتصل بعضها بتنظيم الحالة الإدارية كما في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وبعضها يتصل بتنظيم الحالة الاقتصادية كما في قوله

(١) البقرة: ١٤٣.

تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ  
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي  
الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتارة يشير إليها في سياق أحداث تاريخية  
أو مشكلة عارضة، كالإشارة إلى أهمية المجالس  
الاستشارية في قصة بلقيس بنت شرحبيل ملكة اليمن،  
في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي  
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>، والإشارة إلى  
الموقعية السياسية للقائد العام للمجتمع في الأزمات  
والحالات الحرجة، كآلية النازلة بعد الهزيمة في أحد  
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾،  
ولذلك ينبغي للمفسر أن ينتزع الرؤى السياسية من  
مثل هذه الأحداث.

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) النمل: ٣٢.

## المجتمع في الخطاب القرآني

كما أن الآيات القرآنية جاءت بصورة واضحة لشخصية الفرد المؤمن، فإنها في الوقت نفسه رسمت صورة واضحة للمجتمع المؤمن، ورمزت إليها كثيرا كما في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>، ولذلك فقد جاءت بقيم كثيرة تدفع باتجاه تكوين تلك الصورة، كالإيمان والدعوة إلى الدين ووحدة الصف واستيعاب الاختلاف في الوجهات الفكرية.

وهذا البعد تارة تقوم الآيات بتحريره عن طريق العرض المباشر، كما في قوله سبحانه بالنسبة لتنظيم حالة الاختلاف ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾<sup>(٥)</sup>،

(٤) البقرة: ١٤٣.

(٥) الإسراء: ٨٤.

وتارة تقوم بالإشارة إليه أو الإحالة عليه في سياق  
 حادثة تاريخية أو مشكلة اجتماعية، كما في قوله  
 تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>، فهذه  
 الآية جاءت لتكون علاجاً لمشكلة نفسية اجتماعية  
 طرأت على المسلمين بعد هزيمتهم في احد، فالهزيمة  
 كادت تزرع فيهم روح اليأس والإحباط، لكن الآية  
 أعطتهم الثقة بأنفسهم وبينت لهم بأنهم أرقى أمة على  
 وجه الأرض، وبالتالي فالتفوق لهم، فذلك أعطاهم  
 زخماً روحياً هائلاً، ذوب حالة الإحباط التي اعترتهم،  
 فاندفعوا وحققوا مكاسب عديدة.

ومن ذلك كثير من القرآن الكريم، والمفسر  
 ينبغي له أن يستكشف هذه الإشارة التوجيهية ويضيئها،  
 لتتحرك المعاني القرآنية في مساحاتها الحقيقية وتحقق  
 أهدافها التي جاءت من أجلها.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

## الفكر والمجتمع في كتاب الله

الكلام الإلهي يتضمن أمرين مهمين، أصول الفكر والمعرفة، وأسس الحياة الاجتماعية، والأول مهمته إدارة وتنظيم حركة العقل والتفكير، وأما الثاني فيهتم بإدارة وتنظيم حركة المجتمع.

فالقرآن الكريم أسس لأُمّهات القيم والأفكار بأساليب متعددة، نظرية كالأيات المختصرة، وعملية كالتجارب والمقاطع القصصية الموجهة، وذلك لتكون سائر الأفكار التفصيلية متولّدة عنها.

كما أنه أسس بالأساليب النظرية والعملية لأسس الحياة الاجتماعية، في شقّها الاجتماعي الخاص: (أخلاقيات المجتمع الواحد)، والعام: (الإدارة السياسية)، لكن لا على مستوى التفاصيل بالذات في الشق الثاني، وأما في الشق الأول فقد اهتم القرآن بأدق

التفاصيل، كما هو ملاحظ في وصايا لقمان الحكيم لابنه، وذلك لرسم صورة خاصة للمجتمع المؤمن.

والاحتكاك المتزايد مع الواقع الفكري والاجتماعي الخارجي بما يحمل من صور وقوانين، قد يفقد الإنسان القدرة على صياغة نموذج يتفق وما رسمه القرآن من أسس فكرية واجتماعية. لذلك ينبغي الاقتراب من القرآن الكريم، والتعمق في آياته لاستخراج ما فيه من أصولٍ لفكرنا وأسسٍ لاجتماعنا.

## التمحور حول الغيب

القرآن الكريم رسم صورة للإنسان بصفته الذاتية من مناحيها الثلاثة الروحية والعقلية والسلوكية، بعيداً عن أي متعلق يرتبط به من محيطه القريب أو البعيد، ولذلك وضع له العديد من القيم التربوية التي تؤدي إلى تكوين تلك الصورة، وقدّم له علاجاً لسائر الأمراض النفسية والسلوكية التي قد تطرأ عليه.

وقد كان التمحور حول الغيب القيمة العقلية التربوية الأساس التي بناها النص القرآني لتجاوز كل المشاكل النفسية والسلوكية للإنسان، ولهذا نجد الآيات تؤكد عليها كلما جاءت مناسبة.

ففي قصة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ حين كان في بطن الحوت، أكدت الآيات موقعية الغيب في حياة الإنسان النفسية، من خلال التأكيد على أن ارتباطه بالغيب ﴿فَنَادَى فِي

الظُّلْمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ هو السبب في سعادته النفسية ﴿وَنَجِّينَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ <sup>(٢)</sup>، وهذا ما نجده في كثير من المناسبات التي عرضتها الآيات المباركة.

بالتالي التمحور حول الغيب علاج تربوي لأهم مشاكل الإنسان النفسية والسلوكية، وهذا ما ينبغي لقارئ القرآن أن يتنبه له.

---

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) الأنبياء: ٨٧.



# ملاحظات



## السابقيات الذهنية من النسبية إلى الواقع

السابقيات لدى كل مولد للمعارف والأفكار، هي عبارة عن الميولات النفسية والذهنية التي تلقي بظلالها على سائر الاستنتاجات التي يولدها المفسر للنصوص.

وقد وقفت الهرمنوطيقا موقفاً سلبياً تجاه هذه السابقيات، حيث انطلقت منها للتأسيس للنظرية النسبية في المعرفة، فالهرمنوطيقا ترى أن لكل مفسر أفقه الفكري الذي يتميز به عن غيره من المفسرين، من حيث السعة والضيق في المعنى والمفهوم، ومن حيث الشمول وعدمه من جهاتهما المتعددة الزمانية والمكانية والشخصية، ومن حيثيات أخرى كثيرة تفرضها بيئة الزمان والمكان ومستوى التراكم المعرفي للمفسر، وكل ذلك يلقي بظلال واسعة على

النص فيعطيه أبعاداً متعددة بتعدد الذهنيات المفسّرة، وبالتالي ستكون المعارف بأجمعها نسبية.

إلا أن هذه السابقيات في نظر المفكرين الإسلاميين الذين يعملون على قراءة النصوص الدينية لا تشكل عائقاً يمنع من الوصول إلى الحقائق الثابتة، وذلك بملاحظة شرطين أساسيين، أولهما إذا كانت تلك السابقيات متولّدة عن النص نفسه، وثانيهما مخالفة الهوى.

## الميولات النفسية بين المزاجية والحقيقة

إن التفكيك للميولات النفسية، بين ما يعبر عن الحق وما يعبر عن الهوى، قد يكون في نظر الهرمنوطيقي مجرد التفاف على المشكل العلمي، لأنه لا ينفي وجود الميولات من الأصل، كما أنه لا ينفي تعدد الميولات واختلافها عند ذوي العقول، والتعدد ينتهي تلقائياً للنسبية، بل يمكن القول بدايةً إن التفكيك بينها مجرد ادعاء وهمي، وإلا فهي ذات طابع واحد.

وقد أسس القرآن الكريم للرؤية المنهجية لهذا المشكل، وذلك من خلال التركيز على المائز الواقعي بين النفس اللوامة ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾<sup>(١)</sup> والنفس الأمارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(٢)</sup>،

(١) القيامة: ٢.

(٢) يوسف: ٥٣.

فالأولى بمثابة جرس الإنذار الذي ينبّه العقل من خطر الجنوح نحو الهوى والباطل، فيتجه تلقائياً نحو الحق، بينما الثانية تزين الباطل وتلبسه لباس الحق، والصراع أبديٌّ بين هاتين القوتين، وبالعقل يمكن التمييز بينهما، وإذا أصاب العقلُ الحقَّ تطمئن النفس ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾<sup>(١)</sup>، وبالتالي فالتفكيك واقعي من جهة، ومتيسر من جهة أخرى.

---

(١) الفجر: ٢٧.

## هل يمكن تحصيل اليقين؟

ربما ادعى بعض الفلاسفة استحالة تحصيل اليقين والعلوم الواقعية، إلا أن النص القرآني قال بالإمكانية، وذلك بطرق كثيرة تناولها، منها:

١- التكليف بتحصيل اليقين ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ولا يمكن التكليف بما لا يطاق.

٢- الإنكار على أهل الشك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ

(١) الذاريات: ٢٠.

(٢) البقرة: ٤.

(٣) الجاثية: ٤.

اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿١﴾، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٢)، واستحقارهم والاستخفاف بعقولهم ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (٣).

٣- اعتبار الشك ضرباً من العمى والجهل ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ (٤).

٤- توصيف الشك تارة بالظلم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٥)، وتارة بالرجس ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٦)، حيث ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن الظلم والرجس هو الشك.

(١) الروم: ٦٠.

(٢) النمل: ٨٢.

(٣) التوبة: ٤٥.

(٤) النمل: ٦٦.

(٥) الأنعام: ٨٢.

(٦) التوبة: ١٢٥.

## كيف نحصل اليقين؟

من بداية عصر الفلسفة كان هذا السؤال مطروحاً، حيث ادعى السفسطائيون استحالة معرفة الواقع، ثم تبعهم من عرف بالشكاكين. لكن بعض الاتجاهات الفلسفية كانت تقول بالإمكانية، مع الاختلاف في الكيفية، وهل أنها بالتجارب الحسية وهم التجريبيون، أم بالعقل.

وقد تعمق وتوسع البحث حول هذا السؤال في العصر الحديث، ويمكن القول إن الاتجاه الشكي هو الذي غلب، خصوصاً بعد أطروحة ديكارت. ثم أخذت الفرضيات العلمية تتكاثر في هذا السياق، وفي ضوءها جاءت الهرمنوطيقا وبعض فرضيات الأنثروبولوجيا وعلم تاريخ الأديان الحديث، التي تقول بنسبية المعرفة، ومع ذلك فقد برز في الغرب

بعض المناهضين اليقينيين.

أما النص القرآني فقد أجبنا عن ذلك بأسلوب واضح وعملي، من خلال حديثه في سور ثلاث عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففي سورة الصافات قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وهو القلب السليم من الشك كما في التفسير الروائي لعلي بن إبراهيم.

وفي سورة الأنعام والبقرة بينت الآيات كيفية إحرازه لليقين، وذلك عبر طريقتين:

١. اختبار الأفكار الخارجية (الطارئة من الخارج)، من خلال تشكيكه في معتقدات قومه.
٢. البحث عن أدلة واقعية للأفكار الداخلية، كما في طلبه من الله سبحانه كيفية إحياء الموتى.

---

(١) الصافات: ٨٣.

## الروح التربوية في الخطاب القرآني

القرآن الكريم لم يؤت به في كلفيته الخاصة ليكون مجرد حامل لنظريات ورؤى مثالية عالية المستوى، من غير أن يكون لها أثر فعلي على حياة الإنسان المختلفة الأبعاد الفردية والاجتماعية، بل أريد له أن يكون كتاباً تربوياً يؤثر بشكل فعلي في حياة الإنسان، فينقله من الجهل إلى العلم ومن الضعف إلى القوة ومن الظلمة إلى النور، كما قال تعالى في وصفه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وبناء عليه يجب أن ننظر إلى الرؤى القرآنية على أنها روى تربوية، تتفاعل بشكل إيجابي وتفصيلي مع

(١) المائدة: ١٦.

حياة البشر المتعددة الجوانب، وذلك يعني أن التفسير الصحيح للآيات القرآنية هو الذي يهتم بهذا البعد، ويقوم بتوجيه الرؤى العلمية المنتزعة من الآيات إلى حقولها التربوية المناسبة.

فكل بصيرة علمية في القرآن لها مشارب تربوية خاصة، لو نتأمل فيها تتضح لنا بسهولة، ومن الظلم للقرآن تجميد نظرياته ورؤاه وإبقاؤها ضمن الحدود النظرية المجردة، وإنما لابد من تحريكها عملياً للقيام بصياغة تربوية لحياة الإنسان.

## المحتويات

٧	مقدمة.....
٩	المحتوى .....
١١	لماذا ثقافة القرآن؟ .....
١٣	قيمة النص القرآني .....
١٥	بصائر وهدى ورحمة .....
١٧	من خواص النص القرآني .....
١٩	واقعية النص القرآني .....
٢١	بيان النص القرآني .....
٢٣	يسر البيان في نص متعال .....
٢٥	حاکمية النص القرآني .....
٢٧	المعاني القرآنية والفكر البشري .....
٢٩	في المنهج .....
٣١	المعرفة بمضامين النص .....
٣٣	المنهج الروائي فهم القرآن .....
٣٥	القراءة اليقينية للنص القرآني .....

- ٣٧ ..... مفاهيم
- ٣٩ ..... مفهوم الإيمان بالنص الموحى
- ٤٣ ..... الإتيان للكتاب المنزّل
- ٤٥ ..... القرآن والعقل
- ٤٧ ..... مفهوم التعقل للنص القرآني
- ٤٩ ..... النص والتأويل
- ٥١ ..... البعد السياسي في النص القرآني
- ٥٣ ..... المجتمع في الخطاب القرآني
- ٥٥ ..... الفكر والمجتمع في كتاب الله
- ٥٧ ..... التمحور حول الغيب
- ٥٩ ..... ملاحظات
- ٦١ ..... السابقيات الذهنية من النسبية إلى الواقع
- ٦٣ ..... الميولات النفسية بين المزاجية والحقيقة
- ٦٥ ..... هل يمكن تحصيل اليقين؟
- ٦٧ ..... كيف نحصل اليقين؟
- ٦٩ ..... الروح التربوية في الخطاب القرآني
- ٧١ ..... المحتويات

